الموت والقيامة

لكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين

(كو ١٥:٢٠)

Charles Haddon Spurgeon (19 June 1834 – 31 January 1892) was an English Particular Baptist

---

القاها : تشارلس هادون سبرجن

ان حقيقة قيامة المسيح تأيدت بالبرهان الناطق ، واذ هى أساس ايماننا المقدس كان لزاما ان تكون دون تناول الجدل . وانه لمن دواعى التعزية لنا أن نعلم أن هذه الحقيقة لا تتزعزع ، ولقد حرص سيدنا ان يظهر نفسه بعد قيامته للذين عاشروه وعرفوه حق المعرفة ليستطيعوا أن يعطوا جوابا عن حقيقة شخصه . ولكى يقطع السيد خط الرجعة على المجادلين المكابرين حرص ان يظهر مرات عديدة لجماعات عديدة . ورسولنا يقدم لنا خلاصه لظهوره بقدر ما امكنه ان يلاحظ فيقول : انه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لاكثر من خمسمائة اخ اكثرهم باق الى الآن ولكن بعضهم رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل اجمعين . وآخر

الكل كانه للسقط ظهر لى انا ». وقد تكون هنالك ظروف أخرى ظهر فيها ولم تدون ، ولكن ما ذكر يكفى أن يقطع جهيزة قول كل خطيب .

نعم ، صارت قيامة المسيح حجة لا تدحض حتى ان "جلبرت وست" الملحد المشهور لما اتخذ هذا الموضوع هدفا لهجومه جلس ليزن البراهين مقلبا الأمر على وجوهه المتعددة. ومع انه كان مملوءا من التعصب فقد انذهل من كثرة الشهود الذين يؤيدون صحة هذه الحقيقة ، وكانت النتيجة انه آمن بالمسيح وترك للكنيسة بحثاً مستفيضا يعد تركة ثمينة في كتابه المعنون : " ملاحظات عن قيامة "، ذلك لانه تناول الموضوع كما يتناول المحامى اى نزاع في قضية فيدرس الأسباب والنتائج فانفتحت عيناه واتضحت له صحة هذه الحقيقة التى هى اساس عقيدتنا وايماننا فصار من اتباع السيد ودخل في زمرة شهوده . الا يدهشك أن تعلم أن معظم الحوادث العظيمة المدونة في التاريخ ، تلك التي يصدقها الناس ولا يداخلهم مثقال ذرة من الشك في حدوثها لم يشهدها عشر من شهدوا قيامة المسيح ؟ فامضاء المعاهدات التى يتوقف عليها مصير امم برمتها ، و مولد الأمراء ، وبيانات وزراء الدول ، وكشف المؤامرات الخطيرة ، وحوادث القتل المشهورة، تلك الأمور التي كانت نقطة تحول في التاريخ ولا يتسرب الشك الى صحة وقوعها ، شهدها اناس أقل ممن شهدوا الأمر الذي نحن بصدده .

واذا بحثلنا الموضوع من حيث هو أمر يقبل الجدل فيكون أيسر ان تبرهن على صحة قيامة المسيح من أن تبرهن على أن "أوليفر كرمول" او "جورج واشنطون" قد ماتا. واذا كان الأمر على عدد الشهود الحاضرين وقت وقوع الموت فانهم أقل بكثير ممن رأوا الرب بعد قيامته . اقول اننا اذا مارينا في هذا الحق فقل على الشهادة والشهود السلام . حينئذ ينطبق على جميع الناس الحكم "كل الناس كاذبون"، وعند ذلك لا يثق أحد بآخر بل يتوجس من كل شيء حتى ليشك في حواسه ذاتها . ولا أصور لك صور الحماقات والسخافات التي يندفع بنو البشر في عبابها نتيجة لذلك . أجل ، ان قيامة المسيح أضحت حقيقة واقعية وحداً فاصلا من حدود التاريخ بحيث اذا قام شك حول وجود نابليون بونابرت أو طعن يوليوس قيصر فانه لا يسهل عليك الشك في قيامة يسوع الناصرى لأنه ليس لحادث ما للقيامة من شهود كثيرين ممن اشتهروا بالصدق ، أناس قد لا قوا أهوال الاضطهاد والآلام في سبيل آداء شهادتهم وبعضهم قد قابل الموت بصدر رحب ولم تلن قناعته في شهادته.

ان وضع الآية المقتبسة يعطينا صورة مزدوجة للموت : احداهما نوم ، في كلمة «الراقدين»، والأخرى زرع ، في كلمة «باكورة»، لأن المسيح مشبه بالباكورة ، فلكى نجمع حصادا ينبغى أن نزرع أولا . واذا كانت قيامة المسيح هى الباكورة فقيامة المؤمنين هى حصاد ، والموت يرمز اليه في هذه الحالة بالزرع .

(١) أمامنا صورة يستخدمها الوحى في مناسبات عديدة ، وهى تشبيه الموت بالرقاد أو النوم. ويجب الا نقع في خطأ التفكير بأن النفس ترقد او تنام. اذ ان كلام السيد للص التائب" اليوم تكون معى في الفردوس" ينطبق على كل قديس مائت . اذ ان المؤمنين يرقدون في يسوع بأجسادهم لكن نفوسهم لا تنام ، فهم أحياء واقفون لدى عرش الله يسبحون في هيكله ليلا ونهارا ، وهتاف الهللويات يدوى في أرجاء المجد للذى غسلهم من خطاياهم بدمه . فهنالك في ذلك الفراش المنعزل في بطن الأرض تحت مخضلة من أخضر العشب أو مبتلة من ندى السماء أو سبح المطر يرقد جسد النزيل الغريب في هذه الديار .

ما هذا الرقاد ؟ كلنا لا نجهل ظاهر المعنى المستمد من كلمة رقاد وهو أولا الراحة. وبلا شك يريد الروح القدس أن يوصل الى مداركنا هذا المعنى الجليل . فعينا النائم لا يغشيهما فيما بعد بريق الدنيا الذاهب بالأبصار، ولا يضعفهما انسكاب دموع الألم لانه انقضي. واذناه لا يعود يصمهما ضجيج الأحزان وصخب الآلام . ويداه لا تعودان تدأبان وتكدان وتتعبان . ولا تتورم رجلاه فيما بعد طوافا وسياحة هنا وهناك في طريق البرية الأشعت . لأنه هناك راحة للرأس المتعب ، والعضلات المكدودة ، والأعصاب المحملة بالمتاعب ، والمفاصل الواهنة ، والرئتين اللاهثتين ، والقلب المثقل بالهموم ، راحة في ذلك الرقاد الحلو والنوم اللذيذ .

هنالك على تلك الوسائد اللينة ينفض العامل المتعب أتعابه ، والتاجر همومه ، والمفكر معضلاته ، والمتعب حيرته . وعندى ان النوم هو سبت راحة لكل يوم عابر . وهو يغلق أبواب النفس دون كل فضولى من ذوى المتاعب ، متى تدخل النفس الملكية مخادعها في جنة الصيف لتستريح قليلا . فالعرق المتصبب من الجبين المحموم بحرارة التعب لا تمسه الا يد النوم ، والشوك والحسك الطالع في طريق الحياة الغبراء لا تنتزعه من طريقنا لكي لا تتمزق أرجلنا الا يد اللنوم . وهذا هو الحال مع الجسد حينما يرقد في قبره . هناك يستريح المتعب. والعبد حر من سيده لا

يعود يسمع صوت المسخر. فلا يربط الرقيق مقيدا الى مجداف قارب سيده ، ولا تلهب السياط ظهر الزنجى ، ولا يتوكأ الأجير على فأسه ، ولا يعصب المفكر جبينه الفارق في لجة التفكير انتجاعا للراحة قليلا . يقف الدولاب عن العمل وتكف الوشيعة عن الحركة ، لأن الأيدى التى تديرها والاصابع التي تحركها استراحت ايضا . والجسد يجد له في القبر فراشاً واسعاً ليناً ومستقرا لا تنغصه أصوات التعب فيما بعد .. والأكفان تغلق كل النوافذ دون كل تشويش و كد وجهد والمؤمن الذي أضناه التعب في هذه الحياة ينام كما ينام طفل مل اللعب بدميته الصغيرة فسقطت من يده ونام على صدر امه . يا لسعادة من يموتون في الرب لأنهم يستريحون من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم.

ان الملاح الكبير ينتظر الى أن ننجز يوم عملنا فيأمرنا نحن العبيد أن نستلقى قليلا على احسن فراش وثير لأن أديم الوادى يغدو عذبا مستحبا لنا ، حينئذ لا يدع أمرا يقلق راحتنا في تلك الهجعة اللذيذة الى أن يوقظنا في اليوم الذى فيه يعطينا أجرتنا . طوبى لكم ايها المؤمنون ، فان الملائكة بصفوفهم النورانية تحرس اجسادكم ويضربون حول قبوركم اسوارا من الأسرار التليدة ونطاقا من المواعيد المجيدة، وهناك تستريحون على حجر الأرض التي ولدتكم، وترقدون يا وارثى المجد الى الوقت المعين حينما تخرجون في بهاء الفداء الكامل.

للموت أيضا قصد و غرض لأننا لا نغمض أجفاننا الا لراحة نحصل عليها أو نفتحها الا لفائدة نجنيها . ان الأسطورة الاغريقية القديمة تقول ان «ميديا» كان يضع الأجساد الواهنة الضعيفة من الكبر والشيخوخة في قدر خاص فيردها الى ميعة الصبا وعنفوان الشباب وهذه الاسطورة لها مغزاها فيما يختص بالنوم . لأننا نأتى عقب يوم قائظ خائرى القوى ونستسلم للنعاس ، ثم نقوم في انتعاش كما لو اننا بدأنا حياة جديدة . وكما تطلع الشمس بيوم جديد بازغة من البحار الشرقية ، هكذا نحن نبدأ حياة نشاطها في تجدد عندما ننهض من نومنا ، وهذا ما يحصل للجسد عند هجعته في القبر ، اذ يدفن الأبرار في قبورهم وهم متعبون واهنو القوى لكنهم لا يقومون بهذه الصورة. يذهبون الى القبر وفي جباههم غضن المتاعب ، وفي وجناتهم غورة الشيخوخة ، وفي جلودهم تجعدات الكبر ، ولكنهم يقومون في روعة الشباب وهيبة المجد . الى الرمس يمشي ذلك الشيخ متعثرا في خطوات الشيخوخة المتثاقلة متوكئا على عكازه ، وذيالك المفلوج بعد طول المطاف يحط رحاله مرتعشا

، وكذا الأعسر والأعرج والاعمى يمشون في رحلتهم الطويلة المضنية . لكنهم لا يقومون هكذا مشوهين ضعفاء بل أقوياء أشداء على وجوههم نضرة الخلود وفي عيونهم نور المجد . صبرا ، فشتاء القبر سوف يخلى الطريق لربيع القيامة وصيف المجد . فيا نعم الموت الذي هو آخر رد على ضعف الجسد ، وآخر دواء ناجع لأدواء الحياة الفانية ، ويا حبذا اليد السماوية التى تمزق عن جسدنا اسمال البرص البالية لتسربلنا بثياب العرس الخالدة !

ثم ثمة أمر آخر جدير بالاهتمام وهو أن هذا الرقاد لن تتخلله احلام لأن الأحلام كثيرا ما تكون سبب فزع للنائم. ولكن النائمين في تلك القبور ينعمون بنوم لذيذ " لأنه يعطى حبيبه نوما " .

(٢) نستمد من آياتنا معنى آخر اذ يشبه الموت بزرع . لقد جازت سكة المحراث الحادة على التربة السوداء ، وخرج الزارع واضعا البذور اليابسة في سلة وبكلتا يديه ينثر الحب يمنة ويسرة . أين ذهبت البذور ؟ لقد سقطت البذور في شقوق الأرض ثم لا تلبث أن يغطيها التراب حتى تختفى فلا تظهر معالمها .

هكذا الحال معنا . أجسادنا أشبه شيء بهذه البذور اليابسة. أنك لا ترى شيئا من الجمال في حبة الحنطة ولا هكذا في أجسادنا يحق لبولس أن يصفها بالجسد «الفاسد»، ثم يأتى الموت . نحن نسميه الحاصد وينبغى أن نسميه الغارس لأنه يأخذ أجسادنا هذه ثم ينثرها في الأرض طولا وعرضا . لاحظوا كيف شقق اتلامه وكيف نسقها خطوطا خطوطا ، وما أضيق ما ترك من أديم الأرض ! تقولون لقد دفنوا هناك ، وأنا أقول لقد زرعوا . تقولون ما توا ، وانا اقول غرسوا فلا يلبثون أن يقوموا .

عندما يقول الوحى " الذي تزرعه لا يحيا ان لم يمت " لا يعنى الموت للموت ، بل الموت المؤدى الى الحياة . فذلك الجسم المنحل في تراب القبر لا يزيد عن تلك الحبة التي تعفنت في الأرض قبيل بزوغ نبتة الحياة فيها حتى تبصرها يوم الحصاد خلقا آخر. صحيح اننا نفقد أولئك الذين رحلوا عنا الى حين فلا نراهم رأى العين ، اذ يجب أن يكون هناك دفن والا فكيف تنبت الحبة . وصحيح أيضا أنه لا يسرنا وقع الحصا والتراب على غطاء الكفن عندما يقال «تراب والى تراب تعود »، وهكذا الحال مع الفلاح. لكن هل رأيته منتحيا جانبا يسكب الدمع بعدما أفرغ سلته ونثر

الحب على وجه الأرض ؟ اقول اننا بالعكس نسمعه يترنم فرحا مرددا انشودة الرجاء لأنه يتوقع الحصاد البهيج . وهل رأيته مجللا بأثواب الحداد حينما كانت رجلاه تدوسان البذور في مراقدها الغبراء ؟ كلا انه لا ينظر الى أفق الحبة المتعطنة المتعفنة بل يتعدى ذلك الى النبات الباسق والحصاد الذهبي . فذلك الجسد الذي اتخذ منه الدود طعاما مريئا رجع عناصره الأولى وغدا ترابا ، لكن صبرا فان نسمة الحياة ستهب عليه يوما ، « لأنه كما في آدم يموت الجميع في المسيح سيحيا الجميع . وسنة الله هى أنه بعد الزرع والانحلال يأتى دور الانبات والنمو ، والفلاح ينام ويقوم لكنه متيقن أنه بعد وقت قليل يرى البذار قد طلع وترعرع ، فاذ به يصبح نباتا ، ثم سلنبلا ، ثم قمحا ملآن في السنبل ، وكل هذا وليد تلك الحياة المدفونة في بطن الأرض . هكذا مع الأموات فانه سيأتى يوم - ولا نعلم متى يكون - يوم الطلوع ، وسنعلم حينئذاك أنهم لم يفقدوا بل كانوا وديعة في القبر محفوظة للفداء ، وتلك الأجساد حينما تتحد بالنفس ستكون على صورة أنبل وأمجد .

أيها الأعزاء ، ان كان الموت لا يزيد عن كونه زرعا ، فسبيلنا اذن أن نكف عن قلة ايماننا ونقلع عن قلة الرجاء والاستسلام للحزن اليائس . ولتعلم يا صديقى العزيز انه اذا غاب عنك عزيز تعتز به فلا تيأس لأنه غاب الى لحيظة ، وأحباؤك الذين رحلوا الى الدار الباقية لم تفقدهم لكنهم زرعوا ، وكما قيل : « نور قد زرع للصديق هكذا الصديق قد زرع للنور . فالكواكب الغاربة هنا ستطلع في سماء أخرى حيث لا تغرب فيما بعد . والمشاعل المنطفئة هنا ستوقد بنور مقدس له لمعان كالشمس . ما أمجد هذا الرجاء الذى صار لنا في المسيح، فانه قدمات عنا لينزع شوكة الموت ، وثوى مرة في القبر المظلم ليبدد فزعه القديم . ألم يقم ثانية لكى نجد فيه باكورة الأموات الذين رقدوا فيه ؟ ياله من رجاء مجيد ومستقبل زاهر يعم القلب ثقة ويقينا ! لأنه حينما يرجع ثانية سيقوم الأموات في المسيح أولا والقديسون الاحياء يتغيرون لملاقاته.

كان أحد المؤمنين يتحدث الى كاهن من كهنة البراهما الهنود فسأله : ايمكنك أن تقول (أنا هو القيامة والحياة)؟ فأجاب : نعم ، يمكنني ان اقول . فرد عليه : لكن هل يصدقك أحد ؟ بهذا اظهر المسيح سيادته لأن سجاياه وأعماله كانت مؤيدة لكلامه . وأعلن قوة لاهوته ليسكت أعداءه.

منقولة من كتاب اشهر المواعظ مع التنسيق والتعديل

الرب يستخدم هذه العظة لمجد اسمه

صفوت زكي سمعان